غسان تويني

رجل العقد المقنّعة والمواقف المشبوهة

ميشال حدّيد

● من أين نبدأ اليوم الرحلة «التعيسة» مع غسان تويني؟ المحطات كثيرة وان كان القطار المسافر واحداً.

والمآخذ أكثر وان كان غسان تويني معروفاً بتعدّد وجوهه وكثرة تقلّباته ونطنطاته التي يشهد عليها قلمه «السيّال» الذي فاق الحرباء بقدرته الغرائزية على التلوّن والمماحكة واستعارة الاقنعة.

حرصاً على وحدة الموضوع واختصاراً للوقت ورحمة بأعصاب القارىء، سنحصر رحلتنا معه اليوم بين دفتي مقالته في «النهار» تاريخ ١٩٩٩/٨/٢ بعنوان: «عيد الجيش.. والحريات.. و«التنصّت» على الحروب والبلقنة». مقالته الجديدة نسبة الى تاريخ نشرها، والقديمة جداً نسبة الى مضمونها، تتكوّن من مجموعة افكار متباعدة نسبياً في الزمن ومتعارضة كلياً ووقائع التاريخ ما جعلها «مواقف اتهامية - تهجّمية» هي أبعد ما تكون عن آداب المهنة ورصانتها وحريتها. مجموعته الاتهامية في هذه المقالة تقع تحت الابواب التالية:

«حكومة الغفلة - الجيش هو الحل - الشهابية والعونية - حرب التحرير وحرب التوحيد - الوصاية والتأهيل - الحرية والديمقراطية».

●●●

● **حكومة الغفلة:**

يُعتبر غسان تويني احد رموز الحكم الماضوي بامتياز. خدم فيه أكثر من ١٨ عاماً وترك عليه بصماته العريضة. واذا كان لأحد ان يدين العهود والحكومات الماضية، فغسان تويني كان فيها «الاستاذ» والوزير والمستشار ومندوب لبنان الدائم لدى الامم المتحدة. وهو كان عراب اتفاق ١٧ أيار الذي سقط وأحد مهندسي التجديد للرئيس السابق الشيخ أمين الجميل حتى آخر ساعة من عهده والذي لم يحصل. ولما كان التجديد مستحيلاً بنظر «شقيقة» غسان تويني، ولما لم تسمح الشقيقة نفسها باجراء انتخابات رئاسية العام ١٩٨٨ (والتفاصيل اصبحت معروفة)، ومنعاً لوقوع البلاد في فراغ دستوري، اتصل المجتمعون في قصر بعبدا وكان غسان تويني واحداً منهم، في الدقائق الاخيرة من الساعة الاخيرة الباقية من ولاية الجميل، بقائد الجيش في اليرزة العماد ميشال عون وطلبوا منه الحضور على وجه السرعة الى القصر الجمهوري. وهناك تمّت «المبايعة الدستورية» وتشكيل حكومة عسكرية انتقالية برئاسة العماد عون. عندها تنفّس غسان تويني الصعداء. قال «لقد نجحنا في ابعاد كأس الفراغ الدستوري عن البلاد».

فاذا كانت حكومة العماد عون «حكومة الغفلة»، فالغافل هنا هو غسان تويني وأمثاله من السياسيين، واذا كانت حكومة دستورية، وهي لكذلك، فإن غسان تويني يكذب اليوم على نفسه وعلى الرأي العام اللبناني وينقض كلامه السابق الذي وصف فيه حكومة العماد عون بأنها «دستورية وشرعية» ولأن غسان تويني يعتمد اسلوب «تذكير الناس» في صياغته الادبية، نذكره بأن رئاسة الحكومة الانتقالية عُرضت اولاً على نواب فرفضوها للاسباب المعلومة وأبرزها الخوف من «الانتقام الاخوي». فتذكير الناس لا يكون بتشويه الأحداث التاريخية ولا باغتيال الذاكرة الشعبية وانما باعلان الحقيقة ولو كانت حبل مشنقة حول عنق الكاتب الأمين على كتابة التاريخ وتفاصيله.

●●●

● **الجيش هو الحل:**

ولا مرة قال الجنرال ميشال عون ان «الجيش هو الحل». لكن هناك كتاباً للعميد فؤاد عون بعنوان «ويبقى الجيش هو الحل». وقد استعار تويني هذا الشعار وألصقه بالجنرال عون بتحريض من ذهنية عشائرية هي احدى الامراض التوينية المزمنة. ونذكّر تويني بأن الجنرال عون هو أول قائد للجيش اللبناني شرّع قانونياً حرية الضباط والجنود في التعبير عن رأيهم في الصحافة اللبنانية. وأعطى اذناً لعدد من الضباط لوضع كتب في قضايا مختلفة.

تُرى، ما سرّ هذا الحقد الدفين والهائل الذي يضمره غسان تويني للجنرال ميشال عون حتى انه يحمّله كلاماً لم يقله وشعارات لم يطلقها ومواقف لم يتخذها واحداثاً لم يقم بها؟.. ماذا عمل الجنرال ميشال عون او ماذا اقترف من الجرائم والأعمال المشينة بحق غسان تويني؟ هل اغتصب أملاكاً له؟ هل استولى على أمواله؟ هل سجنه او استدعاه الى التحقيق كما فعل الآخرون معه؟ هل خطف محرريه وموظفيه في «النهار»؟ هل أجبره ذات مرة على الكتابة ضد قناعاته الشخصية وأفكاره السياسية والايديولوجية؟ أم انها مرارة الفشل تعصر في النفس فيبدأ المُعاني بالقصف الاتهامي عشوائياً ويتمنى السقوط للجميع كما سقط هو؟

●●●

● **الشهابية والعونية:**

أصبح غسان تويني من «أزلام» الشهابية، وأصبح يتغنى بـ «الشهابية» وهو أول من حمل حجراً لرجمها وظل يرجمها حتى جاء المرحوم سليمان فرنجية رئيساً في العام ١٩٧٠ بفارق صوت واحد ضد المرحوم الرئيس الياس

سركيس، فاعتبر غسان تويني «الصوت الواحد هو صوت الشعب». قال ان اللواء فؤاد شهاب عندما عيّن رئيساً لحكومة انتقالية، دعا النواب الى انتخاب رئيس جديد للجمهورية في الوقت المحدد العام ١٩٥٢ وفاز يومها المرحوم كميل شمعون. بينما الجنرال ميشال عون سعى الى تعديل نظام الحكم ليبقى «الجيش هو الحل». ويعرف غسان تويني من حاصر النواب وهدّدهم بالقتل إذا حضروا الى قصر منصور لانتخاب رئيس جديد للجمهورية العام ١٩٨٨. ويعرف أي جهة منعت حصول جلسة الانتخاب. لكن الحقد يعمي البصيرة، والكذب لا يترك أثراً للحقيقة في ما يكتب ويقول.

ويتناسى او يتجاهل غسان تويني الفروقات الكبيرة بين ظروف العام ١٩٥٢ وظروف لبنان العام ١٩٨٨. فهل كان لبنان في العام ١٩٥٢ محتلاً؟ وهل كانت هناك ميليشيات تتذابح، وخطوط تماس تفصل بين الوطن والوطن؟ هل تصحّ المقارنة بين المرحلتين؟

●●●

● **حرب التحرير وحرب التوحيد:**

هذا الاتهام سقط من زمان. كتب كثيرة ظهرت على الساحة تناولت هذا الموضوع بالتفصيل ولعلّ ابرزها: كتاب «عون - الصحوة اللبنانية» للزميل بيار رفول، وكتاب «الطريق من اسرائيل الى دمشق» لروبير مارون حاتم.

فقط نقول لغسان تويني أن حرب التحرير كانت رداً على الحرب الشاملة التي أعلنها السوري المحتل على المنطقة الحرة من لبنان. وأما بالنسبة لما يسميه بـ «حرب التوحيد» فنذكّره باتصال السفير الاميركي ماكارثي من أهدن بسمير جعجع ليقول له: «ماذا تنتظر.. لماذا لم تبدأ الهجوم على عون؟». وأما خطة الهجوم، فإذا كان تويني الأب لا يعرف من وضعها فليسأل تويني الابن ليفيده بالأسماء والتفاصيل الكاملة... وحرب غسان تويني الاعلامية ضد الجنرال ميشال عون لا تختلف بالجوهر عن حرب «القوات اللبنانية» التي غطّت الدخول السوري الى المنطقة الحرّة، اذ انها ستغطي التوطين والضمانات السورية لهذا التوطين.

نحن نعرف تماماً الهدف من العودة الى هذه الأوراق القديمة ونبش قبور الماضي. يريدنا الاّ نتخطى الصعوبات التي نشأت عن سوء العلاقة مع الاميركيين ويعمل جاهداً على الحد من امكانية قيام علاقة جديدة نريدها ان تقوم على ايقاف نتائج الطائف السياسي. لقد تجاوزنا نحن تلك الصفحات الماضيات، ولا يقف في الماضي السحيق ويرفض الخروج منه الا المعقّد والمتزمّت وغير القادر على الاقلاع والتسامح ومواكبة حركة التغيير.

●●●

● **الوصاية والتأهيل:**

في عيد الجيش اللبناني وقف غسان تويني يتهم هذا الجيش بأنه ينصّب نفسه وصياً على الشعب اللبناني و«مؤهلاً» له. ويتهمه بأنه دعا الى «تأهيل كل اللبنانيين». ترى من هو الوصي على غسان تويني اليوم؟ ومن هو «جيش التأهيل» في لبنان اليوم؟.. لا نبكي أزلاماً أمثال غسان تويني بل نبكي وطناً ابتلي بأمثال غسان تويني يخلعون صفات ومواصفات وتوصيفات على الجيش الوطني مأخوذة من ممارسات واخلاقيات جيش احتلالي محكوم بسلطة من العصور الجاهلية.

لماذا كل هذا التطاول التويني على الجيش الوطني البطل؟ من تخدم هذه السموم التوينية؟ وما الهدف من كل هذا التشكيك بالجيش اللبناني خاصة في هذه المرحلة السوداء من عمر الوطن؟

●●●

● **الحرية والديمقراطية:**

دأب غسان تويني صاحب العقد المقنّعة والمواقف المشبوهة منذ سنوات، على سرقة شعارات وأقوال وأفكار من خطابات الجنرال عون ووقفاته التاريخية المتميّزة وبثّها في مقالاته على أنها من ابداعه الخاص. وكمثال على ذلك، سرق قول الجنرال الشهير: «لبنان لا يُحكم من دمشق ولا يحكم من بيروت ضد دمشق»، و«لبنان ينبغي أن يجلس الى طاولة المفاوضات وليس عليها» و«الحرية والسيادة والاستقلال مسلّمات وطنية فوق الحوار والمفاوضة»...

ومرة، وسط بحر من الشعب الآتي الى «بيت الشعب» في بعبدا مبايعاً لبنان والقائد بالروح والدم، وقف الجنرال عون صارخاً بوجه العالم: «عار على العالم الحر أن يقوم جنرال بلباس مرقّط ويقول له ان الوجود خارج اطار الحرية هو شكل من أشكال الموت». وهكذا لا يكتفي غسان تويني بسرقة افكار واقوال العماد عون وينسبها اليه بل يحاول مسخها وقتل صاحبها..

وبعد ذلك، يأتينا في آخر الزمان ليلقّننا درساً في الحرية ومبادىء الديمقراطية. ولا يمرّ هذا الدرس التويني بدون شتم الجنرال عون، او لا تكتمل الحرية التوينية بدون «سبّ الجنرال». وما علاقة غسان تويني بالحرية؟ علاقته بها مثل علاقة السجّان بسجينه. مثل علاقة العميل - التبعي بسيادة ارضه واستقلال وطنه. مثل علاقة الزوج الخائن بزوجته المخدوعة. أم أن من يشيد بحكم حافظ الأسد و«حكمته» و«بطولاته» ويبايعه الولاء المطلق أصبح «حراً» ومن انصار الحرية والديموقراطية؟ كيف جمع غسان تويني بين النقيضين: الحرية وديكتاتورية الأسد.. لسنا ندري. لعلّه هو الأدرى فيشرح لنا فلسفة جمع ما لم يُجمع واجتماع الليل والنهار على سطح واحد.

ان الكاتب الذي يسرق أفكار الآخرين ويدّعي بأنه مبدعها ليس كاتباً رؤيوياً ولا يستطيع في حال من الاحوال مواكبة فكر الجنرال عون. وان من يتسطّح قلمه تحت وصاية المحتل لا يحق له الدفاع عن الحرية لأنه خانقها وخائنها ومسلّمها الى الجلاّد. وان المحكوم بعقد الماضي وهزائم المراحل المتعاقبة وأدران الحقد، أفضل له ألف مرة ان يسكن قبواً تحت الارض ويعتزل العالم لأن وجوده في العالم خطر عليه وعلى العالم.